بحث بعنوان

" قصة الأعمى في القرآن الكريم دراسة تربوية"

إعداد الدكتور / صالح بن سليمان البقعاوي

جامعة أم القرى –كلية التربية – قسم التربية الإسلامية والمقارنة

1435هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه أجمعين.

جاء القرآن الكريم رحمة وهداية للأمة بأكملها ليؤسس مناهج خاصة بتربية الإنسان، متسمة بالشمولية والكمال والتجدد، فقد اهتم بأفراد المجتمع الإسلامي في جميع أحوالهم وخصوصا ذوي الاحتياجات الخاصة، وأكد بحقوقهم على إخوانهم المسلمين ومجتمعهم قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة: 71] في المعاضدة والمناصرة والرحمة والمودة.
وقال **صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وسلم**: «مثل المؤمنين في توادهم وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوٌ مِنْهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"([1]).
مشكلة الدراسة:

اهتم الشرع الإسلامي بجميع فئات المجتمع دون تفريق أو تمييز فالأعمى والأعرج والمريض من الذين أعطاهم حقهم هذا الدين الإسلامي الحنيف فقال تعالى:

وقال تعالى (لَّيْسَ عَلَى الأعمى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا على أَنفُسِكُمْ)(سورة النور: 61) "يخبر تعالى عن منته على عباده، وأنه لم يجعل عليهم في الدين من حرج بل يسره غاية التيسير، فقال: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى، أو سلامة الأعرج، أو صحة للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، أطلق

[1]) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم دار الجيل بيروت . بيروت باب تراحم المؤمنين وتوادهم حديث رقم:6751.

الكلام في ذلك، ولم يقيد"([1]).ولقد افرد الله خصوصية للأعمى في سورة عبس فجاءت لتبين وتوضح طريقة التعامل مع الأعمى من الجوانب المعنوية، والتربوية، وغيرها، ولذا يكون غرض الباحث ليس مجرد الكتابة، لأن جانب التربية والاهتمام بالأعمى من أهم ما يجب الاعتناء به، خصوصا بعد انتشار الفصول والمدارس والمعاهد الخاصة بهم وهي ما يطلق عليها (فصول النور)، وكذلك نجد أن أهم أهداف القصص القرآني في هذه السورة يدخل تحته العظة والعبرة والتربية والتسلية والتثبيت على الحق ونحو ذلك.

هنا يورد الباحث البعد التربوي في القصة الجميلة قصة الأعمى ([2]) في سورة عبس وما ورد فيها من عتاب مؤدب لخير البشرية محمد **صلى الله عليه وسلم** وذلك من ربه جل وعلا.

والتي هي بعنوان " قصة الأعمى في القرآن الكريم دراسة تربوية"

أسئلة الدراسة:

يمكن تحديد سؤال الدراسة الرئيس التالي:

كيف راعى القرآن الكريم أحوال الأعمى في سورة عبس؟

ويتفرع منه الإجابة على الأسئلة التالية:

---

[1]) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ (575/1)

[2]) مُخْتَلَفٌ فِي اسْمِهِ: فَأَهْلُ المَدِيْنَةِ يَقُوْلُوْنَ: عَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسِ بنِ زَائِدَةَ بنِ الأَصَمِّ بنِ رَوَاحَةَ القُرَشِيُّ، العَامِرِيُّ. وَأَمَّا أَهْلُ العِرَاقِ: فَسَمَّوْهُ عَمْراً. وَأُمُّهُ أُمُّ مَكْتُوْمٍ: هِيَ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَنْكَثَةَ بنِ عَامِرِ بنِ مَخْزُوْمِ بنِ يَقَظَةَ المَخْزُوْمِيَّةُ. مِنَ السَّابِقِيْنَ المهَاجِرِيْنَ. وَكَانَ ضَرِيْراً، مُؤَذِّناً لِرَسُوْلِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مَعَ بِلاَلٍ، وَسَعْدٍ القَرَظِ، وَأَبِي مَحْذُوْرَةَ، مُؤَذِّنِ مَكَّةَ. هَاجَرَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ بِيَسِيْرٍ. قَالَهُ ابْنُ سَعْدٍ.
وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَحْتَرِمُهُ، وَيَسْتَخْلِفُهُ عَلَى المَدِيْنَةِ، فَيُصَلِّي بِبَقَايَا النَّاسِ. قَالَ الشَّعْبِيُّ: اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَمْرَو بنَ أُمِّ مَكْتُوْمٍ، يَؤُمُّ النَّاسَ، وَكَانَ ضَرِيْراً، وَذَلِكَ فِي غَزْوَةِ تَبُوْكٍ، كَذَا قَالَ. وَالمَحْفُوْظُ: أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِنَّمَا اسْتَعْمَلَ عَلَى المَدِيْنَةِ عَامَئِذٍ: عَلِيَّ بنَ أَبِي طَالِبٍ. وَقَالَ قَتَادَةُ: اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–ابْنَ أُمِّ مَكْتُوْمٍ مَرَّتَيْنِ عَلَى المَدِيْنَةِ، وَكَانَ أَعْمَى.
وَرَوَى: مُجَالِدٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ (انظر سير اعلام النبلاء:313/1)

1-ما هي بعض أوجه اهتمامات القرآن الكريم التربوية في الأعمى في سورة عبس؟

2-ما الفوائد التربوية من قصة الأعمى في سورة عبس؟

أهداف الدراسة:

تحاول هذه الدراسة من خلال الإجابة على أسئلتها تحقيق الأهداف التالية:

بيان أوجه اهتمام القرآن الكريم في الأعمى في سورة عبس.

ذكر بعض الفوائد التربوية من قصة العمى في سورة عبس.

أهمية الدراسة:

يرى الباحث أن أهمية الدراسة تكمن بما يلي:

1-التأكيد على حق الأعمى من خلال التطرق لتفسير سورة عبس والتركيز على الآيات في مقدمتها بخصوص الأعمى.

2-إبراز الجوانب والفوائد التربوية المستفادة لكل من المربي والمتربي من خلال هذه السورة العظيمة وما بها من توجيهات جميلة.

3- حاجتنا الماسة لإبراز تلك الفوائد للعالم وان ديننا الحنيف سبق غيره بالاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة والأعمى على وجه الخصوص من خلال هذه السورة.

4-بيان وإظهار بعض الجوانب الأدبية والبلاغية الكامنة والتربوية في هذه السورة العظيمة، والتي يمكن الإفادة منها في هذا الوقت.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي في معالجة الأفكار المطروحة من حيث جمع المعلومات ثم تصنيفها وتنظيمها وتحليلها ومعرفة وتحديد حاجات الأعمى الخاصة في القرآن الكريم واستنباط المفهوم والمعنى لها.

ويندرج تحت هذا المنهج الوصفي تصنيفات كثيرة، حيث بعد من أكثر مناهج البحث العلمي شيوعاً في مجال الدراسات التربوية، فهو " لا يعتمد المنهج الوصفي، كما يعتقد البعض على مجرد وصف ظاهرة معينة موجودة، بل يتعدى ذلك إلى اكتشف الحقائق، وآثارها والعلاقات التي تتصل بها وتفسيرها، والقوانين التي تحكمها" ([1]) ولذا فإن هذه الدراسة تقوم على بيان كيف تعامل القرآن الكريم مع الأعمى في سورة عبس وذكر دلالات النصوص المتعارف عليها ليستفيد منها الباحث المسلم، ولعل الباحث باستخدامه هذا المنهج يظهر ويبرز ما كان غامضاً أولم يظهره الباحثين من خلاله في التعمق في تفسير هذه السورة من كتب المفسرين المختصين بهذا العلم الإسلامي الأصيل وبنظرة تربوية مؤصلة.

حدود الدراسة:

الدراسة تقتصر على سورة عبس، وخاصة (من آية 1 إلى آية 10)، ودراستها تربويا والوقوف على معانيها الخاصة بهذه الدراسة. وبيان مراعاة القرآن للأعمى.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: (علي بن حسين علي صنبع 1430هـ) رسالة ماجستير بعنوان

"المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية "

أ) أهداف الدراسة:

1. بيان المعاني الهامة التي جاءت بها سورة عبس من خلال ظروف نزولها والأثر الذي أحدثته.

[1]) أحمد حافظ نجم، وآخرون دليل الباحث، الرياض: دار المريخ، 1408هـ، ص15

2. التعرف على العظات والعبر المستنبطة من مضامين سورة عبس التربوية.

3. ربط هذه المضامين بواقع الحياة العصرية حتى يمكن تطبيقها في التوجهات التربوية الراهنة.

4. كيفية التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس.

ب) نتائج الدراسة:

خلص الباحث من خلال هذه الدراسة إلى نتائج عديدة يمكن إجمالها؛ فيما يأتي:

1. إن سورة عبس حافلة بالمضامين التربوية ويمكن أن تكون دستور للحياة برمتها؛ ومنها:

أ. أنه لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة محققه لمصلحة متوهمة.

ب. أن العالم هو الذي يؤتى إليه، وليس العكس.

ج. على العالم أن يكون بشوش لين الجانب.

د. على طالب العلم أن يستزيد من طلب العلم، ففيه تزكية لنفسه.

2. شرف العلم وفضله يؤدي إلى زكاه النفس، وزيادة الإيمان.

3. جحود وكفر الإنسان بربه مع كثرة النعم.

4. تناول دلائل قدرة الله تعالى في هذا الكون.

5. خطر التبعات علي العبد يوم القيامة.

6. ثمرة الإيمان تظهر نوراً علي الوجه وإشراقاً، عكس الكفر.

7. مدح الله الملائكة، فعلى المؤمن الاستحياء منهم.

8. ختم الباحث بيان أهوال يوم القيامة، وفرار الإنسان من أبيه، وأقاربه، فزعاً، وخوفاً. الاهتمام بذوي الاحتياجات الخاصة.

الدراسة الثانية: (نجلاء فتحي لطفي الجزار 2010م) رسالة ماجستير بعنوان " القيم التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها في المجتمع " جامعة القدس المفتوحة.

أ) أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى عدة أهداف، منها:

1. استنباط منهج تربوي من خلال تربية الرسول **صلى الله عليه وسلم**.

2. دراسة الآيات ومعرفة أسباب النزول، ومعاني الكلمات، وما ترشد إليه الآيات.

3. إن التقوى هو معيار التفاضل بين الناس.

4. التعرف على القيم التربوية من صدق وأمانة، وتواضع، وإخلاص، المتضمنة في سورة عبس. محاولة تطبيق هذه القيم على الفرد، والمجتمع

ب) نتائج الدراسة:

1. الأساليب التربوية في القرآن الكريم تختلف عن غيرها في المضمون والمفهوم، في التربية والتعليم، حيث أنها تقوم على الفهم الواعي للنفس البشرية، وعلى مسئولية الفرد وتكليفه واستخلافه في الأرض.

2. إن سورة عبس حافلة بالقيم التربوية التي تمثل الإطار المرجعي، لأخلاق المسلمين في كل زمان ومكان.

3. شرف العلم وفضله، تزكى فيه النفوس، وتزداد إيماناً، وخشية لله تعالى، ويتمثل باحترام المعلمين وطلاب العلم.

4. الهداية بيد الله وحده، يهدي من يشاء ويضلل من يشاء، نسأل الله أن يهدينا جميعاً.

5. تناولت سورة عبس دلائل قدرة الله –تعالى–في هذا الكون مما يستدعي إلى التفكر والتدبر.

6. ثمرة الإيمان والتقوى تظهر جلياً يوم القيامة نوراً على الوجه وإشراقاً له، وثمرة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسواداً على الوجه وكدرة.

7. إن الخوف والرجاء ثمرة من ثمرات الإيمان الحق المؤثر في السلوك الإنساني.

8. الأسرة والمدرسة والمجتمع كل منهم له دوره في تربية الفرد المسلم، وتنشئته التنشئة الصحيحة.

9–دعا الإسلام بأخذ يد المعونة لمن حرمهم الله بعض نعمه، من ذوي الاحتياجات الخاصة، مواساة لهم، ودمجهم اجتماعياً وتعليمياً في المجتمع، والاستفادة من قدراتهم بما فيه النفع لأنفسهم ولمجتمعهم.

10–مدح الله الملائكة، فعلى المؤمن الإيمان بهم، وتقديرهم والاستحياء منهم.

11–تؤكد سيرة النبي –**صلى الله عليه وسلم**–وتعامله مع صحابته إلى وجود النموذج العملي الذي يترجم القيم الأخلاقية إلى واقع وممارسة، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجب الاقتداء به.

12–إن القيم التربوية يجب أن تصدر من العقيدة الإسلامية حتى تؤتي ثمارها بأحسن وجه.

الفرق بين الدراسة الحالية والدراستين السابقتين:

تتميز هذه الدراسة.

1 –بيان عددا من المعاني والفوائد التربوية والخاصة بالأعمى كما ذكرها القرآن الكريم في سورة عبس.

2–بيان بعض أوجه اهتمام القرآن الكريم التربوية بالأعمى في هذه السورة.

3–تختلف في عنوانها وأسئلتها وأهدافها التي تسعى إلى تحقيقه.

مصطلحات الدراسة:

القرآن الكريم:

" القرآن: هو المنزل على الرسول المكتوب في المصاحف المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة، والقرآن، عند أهل الحق، هو العلم اللدني الإجمالي الجامع للحقائق كلها." ([1])

ودرج العلماء على تعريف القرآن بأنه "كلام الله تعالى المنَزَّل على محمد -**صلى الله عليه وسلم** -المتعبد بتلاوته.

2) الأعمى:

ع م ى: (الْعَمَى) ذَهَابُ الْبَصَرِ وَقَدْ (عَمِيَ) ([2])

أما التعريف التربوي:" فيذهب إلى أن الأعمى أو الكفيف هو من فقد بصره أو من عنده عجز شديد في البصر من درجة تجعل من اللازم تعليمه بطريقة بريل. فإذا كان لدى الإنسان، أو الطفل عجز جزئي في البصر قيل عنه إنه كفيف جزئيا، أو إنه يرى جزئيا، ويكون من اللازم تعليمه قراءة ما هو مطبوع باستعمال المكبرات البصرية، أو رسم المقروء بالأحرف الكبيرة أو بوسائل أخرى"([3])

ويرى الباحث في تعريف الأعمى: هو من فقد إحدى عينيه أو كلتيهما، أو يري بجهد وصعوبة،

والأعمى هنا هو الصحابي الجليل عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه ،كما ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كان يوماً يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديماً فجعل يسأل رسول الله **صلى الله عليه وسلم**

[1]) على الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ ص223.

[2]) محمد الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون بيروت،1415هـ،467، (موسوعة المكتبة الشاملة الإصدار 3,52)

[3]) مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية، سوريا، دمشق، ص 408

من شيء ويلح عليه وود النبي **صلى الله عليه وسلم** أن لو كف ساعته تلك على الآخر فأنزل الله تعالى" عبس وتولى أن جاءه الأعمى ".([1])

الفصل الأول: تفسير الآيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (10)

أولا: سبب نزول هذه السورة:

"عنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أُنْزِلَتْ: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَجَعَلَ يَقُولُ: أَرْشِدْنِي. قَالَتْ: وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** من عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ. قَالَتْ: فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعرض عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ، وَيَقُولُ: "أَتَرَى بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟ ". فَيَقُولُ: لَا. فَفِي هَذَا أُنْزِلَتْ: (عَبَسَ وَتَوَلَّى)"([2])

سورة عبس من السور المكية التي نزلت على النبي المصطفى **صلوات ربي وسلامه**، عليه في مكة المكرمة وقد تميزت السور المكية بعدة خصائص منها: قصر الآيات والسور، والدعوة إلى أصول الإيمان بالله واليوم الآخر وتصوير الجنة والنار، والدعوة للتمسك بالأخلاق الكريمة والاستقامة على الخير، ومجادلة المشركين وتسفيه أحلامهم، واستعمال السورة لكلمة يا أيها الناس وعدم استعمالها لكلمة يا أيها الذين آمنوا. كما ذكره غير واحد من المفسرين.

---

[1]) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420 (319/3).

[2]) محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار احياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاكر وآخرون حديث رقم 3331.

ثانيا: معاني الكلمات

1- عبس: قطب وكلح وقبض وجهه تكرهاً وصد بوجهه

2- تولى: أعرض بوجهه وبدنه

3- أن جاءه الأعمى: أي لأجل أن جاء عبد الله ابن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به من دعوة بعض أشراف قريش للإسلام.

4- يزكى: أي يحصل له زكاة وطهارة من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك

5- يذكر: أي يتعظ وينزجر عن المحارم بما يتعلمه من مواعظ القرآن.

6- استغنى: عن الله وعن الإيمان وعن العلم وعن الدين بالمال والجاه.

7- تصدى: أي تقبل عليه وتتصدى له.

8- وما عليك ألا يزكى: أي ليس عليك بأس في عدم تزكيته نفسه بالإسلام.

9- يسعى: شدة المشي في برجليه، في طلب الخير من العلم والهدى.

10- يخشى: الله

11- تلهى: أي تتشاغل عنه."([1])

ثالثا: المعنى العام للآيات

[1]) ابو بكر جابر الجزائري: أيسر التفاسير، مرجع سابق (517/5)

جاءت هذه الآيات بتوجيه عتاب للنبي **صلى الله عليه وسلم** بأسلوب لطيف بسبب عبوسه وإعراضه عن ابن أم مكتوم الأعمى عندما كان مشغولا بدعوة بعض زعماء قريش ، فجاء عبد الله بن أم مكتوم فقاطعه الحديث ليتعلم منه مما علمه الله ، فعبس النبي **صلى الله عليه وسلم** وأعرض عنه ، خوفا أن يفوته منهم ما يرجوه من إسلامهم ، فعاتبه الله أولا: لإعراضه عن من جاء ليتزكى بما يتعلمه من الوحي أو تنفعه الموعظة ، ثم وجه إليه عتابا ثانيا مباشرا في تعرضه وإقباله عن الذي استغنى عن الله ودينه ورسوله بماله وجاهه ، ثم بين له أن وظيفته البلاغ ، ولن يضره ويضر دينه عدم زكاة بعض النفوس بالإيمان ، ثم عاتبه ثالثا لتشاغله عن من جاءه مسرعا وهو يخشى الله وعذابه .ثم عظم الله من شأن هذه التذكرة التي ذكرها في كتابه ، وأن الخلق لهم الخيار في التذكر بها للفوز ، أو الإعراض وحصول الخسران ، وذكر أوصافا تدل على شرفها وعظم شأنها"([1]).

الفصل الثاني: بعض أوجه اهتمام القرآن الكريم التربوية في الأعمى في سورة عبس؟

مهما بلغ الباحث من علم ودراية فإنه لا يحيط بأوجه اهتمام القرآن بموضوع ما لأنه كلام الله المعجز وبيانه لا يحده حد معين ولا يحيط به أحد قال تعالى (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) سورة طه: آية 20.

لذا فالباحث هنا يذكر بعض أوجه اهتمامات القرآن الكريم التربوية بالأعمى في سورة عبس، وهي عامة لجميع من ابتلاه الله بفقد البصر، فإن "العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب". وهي كما يلي:

أولاً: احترامهم ومراعاة شعورهم: جاء في قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى). حيث نزلت هذه الآيات بعد اعراض النبي **صلى الله عليه وسلم** عن ابن أم مكتوم، وانشغاله بصناديد قريش طمعاً في هدايتهم ودخولهم في الإسلام.

[1]) أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، مرجع سابق(518/5).

فهذه الآيات تدل دلالة واضحة وصريحة على مدى الاهتمام والمراعاة لشعورهم التي قد تنكسر وتصغر نفوسهم من أجل بعض الكلمات، فالنبي **صلى الله عليه وسلم** عبس وأعرض عنه "فنزلت هذه الآية وكان رسول الله (**صلى الله عليه وسلم**) يكرمه ويقول إذا رآه (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي) ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين"([1]). ما أجمل الأسلوب التربوي الرباني في العتاب لنبيه، وفي مراعاة شعور ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وقد تمثل النبي هذا الامر بملاطفته ومراعاة شعور ابن ام مكتوم في الحال امتثالاً لأمر الله جل وعلا.

وهنا بيان خلق النبي **صلى الله عليه وسلم** الكريم في التعامل مع أصحابه،" حيث لم يرد بكلمة جارحة، وانما أظهر عدم الرضى من خلال العبوس والإعراض، ولكن الله أراد أن يرفع نبيه الى مقام أعلى في مكارم الأخلاق، فنهاه حتى عن مجرد العبوس والاعراض"([2]).

من هنا نجد ان العتاب أسلوب تربوي حكيم، عندما يوظف بصورة سليمة كما حدث للنبي من ربه عز وجل. ولذا فإن صاحب الحاجة عادة مكسور الجناح، يحتاج الى من يطيب ذلك الكسر ويجبره بابتسامة بريئة، وبكلمة طيبة، فهم أكثر الناس أحاسيسهم رقيقة، فالمسلم يجب أن يراعي ذلك، ويكون على درجة من الوعي والمعرفة بأحوال هؤلاء والتعامل مهم بحساسية وحذر، ويراعي مشاعرهم حتى في الكلام.

ثانياً: الاهتمام بهم وعدم الإعراض عنه:

إن عمى البصر لا ينقص من قدر الانسان، وانما العمى الحقيقي هو عمى البصائر والذي يحاسب عليه، (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [سورة الحج: 46].

---

[1]) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية –بيروت –1421هـ – الطبعة: الأولى(50/31) الموسوعة الشاملة

[2]) طه عابدين طه: مرجع سابق، ص7.

وقد جاء ابن أم مكتوم لعلاج هذا العمى، وقد أنزل فيه قراناً يتلى الى يوم القيامة ، ومن الأولى الاهتمام به واجابته وعدم الإعراض عنه لأجل هؤلاء " أي تتشاغل لأجل أولئك الأشراف الذين تريد إسلامهم لعلو بهم الدين تشاغلاً حفيفاً بما أشار إليه حذف التاء ، من لهى عنه كرضى إذا سلى وغفل وترك ، وفي التعبير بذلك إشارة إلى أن الاشتغال بأولئك لا فائدة فيه على ما تفهمه تصاريف المادة وإلى أن من يقصد الانسان ويتخطى رقاب الناس إليه له عليك حق عظيم ، والآية من الاحتباك : ذكر الغنى أولاً يدل على الفقر ثانياً ، وذكر المجيء والخشية ثانياً يدل على ضدهما أولاً ، وسر ذلك التحذير مما يدعو إليه الطبع البشري من الميل إلى الأغنياء ، ومن الاستهانة بحق الآتي إعظاماً لمطلق إتيانه"([1]). قال السعدي "وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك ألا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: " لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة " وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره."([2])

ان هذا يوحي الى الزجر من الاقبال على الغني الكافر والإعراض عن المؤمن الفقير، وتبين كذلك أن المؤمن أحق بالرعاية والاهتمام والعناية والتقدير من أي كافر على وجه الأرض مهما علاء شأنه وكبر قدره عند الناس، ولا ينبغي أن يقدم أمر الكافر على أمر المؤمن، ولا الاهتمام بالكافر والإعراض عن المؤمن، وأن الميزان الذي ينبغي أن يرفع به قدر الناس في علاقتهم واقبالهم وادبارهم، هو ميزان الايمان والتقوى دون النظر للموازين أو المعايير الأرضية كالمال والجاه والسلطان والنسب وغيرها. وهن يذكر

[1]) برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: ظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية –بيروت – 1415 هـ –(326/8) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[2]) السعدي: مرجع سابق، (910/1) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

أحدهم" فيها إشارة الى أهمية رفع قدر المؤمن، وإظهار عزته، خاصة أمام الكفار الذين يستحقرون الضعفاء أمثال ابن أم مكتوم، حتى ولو بدر منهم ما لا يرضي، فإن الأمة تعتز بين الأمم بقدر ما تراعي من عزة وكرامة أفرادها خاصة الضعفاء منهم."([1]).

ثالثاً: مساعدتهم وقضاء حوائجهم.

عندما جاء ابن ام مكتوم الى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو يطلب ويحتاج المساعدة في التعليم والتزكية ، وهن يذكر احد المفسرين " فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النَّبِيّ **صلى الله عليه وسلم** آية من القرآن ، قال يا رسول الله : علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله **صلى الله عليه وسلم** نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله ببعض بصره ثم خفق برأسه ثم أنزل الله {عبس وتولى أن جاءه الأعمى} فلما نزل فيه ما نزل أكرمه نبي الله وكلمه يقول له : ما حاجتك هل تريد من شيء."([2]). عاتب الله نبيه عتاباً تربوياً بشأن ام مكتوم عندما صد عنه، ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ} أي: الأعمى {يَزَّكَّى} أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة.

وهذه الحاجة التي جاء من أجلها ابن أم مكتوم ونزول هذه الآيات فيها "أهمية الاهتمام والالتفات إلى أصحاب الحاجات الخاصة واعطائهم الأولوية عند حضورهم لطلب الخير والمعروف وقضاء حاجاتهم، لما في ذلك من الأثر العظيم في نفوسهم"([3]).

---

[1]) طه عابدين طه: مرجع سابق، ص 21.

[2]) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار هجر – مصر: [1424هـ(242/15)

[3]) طه عابدين طه: مرجع سابق ص9.

"قال السيوطي في " الإكليل ": في هذه الآيات حث على الترحيب بالفقراء والإقبال عليهم في مجلس العلم وقضاء حوائجهم، وعدم إيثار الأغنياء عليهم. وقال الزمخشري: لقد تأدب الناس بأدب الله في هذا تأدباً حسناً. فقد روي عن سفيان الثوريّ رحمه الله أن الفقراء كانوا في مجلسه أمراءَ."([1])

لذا فإن تعليم رجل أعمى فقير ضعيف من المسلمين أولى من صرف الوقت فيمن عرفوا بالعناد والإعراض مثل هؤلاء الكفار المعاندين مهما كان قدرهم عند الناس. وهنا نجد أن القرآن الكريم جاء ليسبق العالم في بيان وتوضيح حقوق ذوي الاحتياجات الخاصة، ومساواتهم مع غيرهم في الكرامة، وتحقيق حاجاتهم ومتطلباتهم الدينية والدنيوية. وأن من مقاصد القرآن الكريم حفظ حقوق الأفراد على أعلى المستويات، وينبغي على أمة الإسلام أن تراعي حقوق كل أفرادها اقتداء وامتثالاً لأمر القرآن الكريم.

رابعاً: تقديم الأعمى الفقير المسلم على البصير الغني الكافر:

ان ما فعله النبي صلوات ربي وسلامه عليه طمعاً بأن يسلم صناديد قريش ويكونون عوناً للدين، "ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة؛ أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة "([2]). وهذا يدل على هوان الكافر عند الله جل وعلا، وأن المؤمن له من القدر والكرامة ما يبلغها الكافر بكفره حتى لو كان قدره عالياً عند الناس، وقد يكون الغنى والترف من معوقات الهداية "والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية والتهيؤ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أمارة للطهارة والإقبال واستكانة

[1]) محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل

[2]) القرطبي: مرجع سابق، (139/19).

القلوب وسمو النفوس لشريف الأ " مال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبيه أرق وألطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب وأولى "([1]).

ولذا فإن نفوس الكفار امتلأت من الكبر والغرور والجهل والحمق، فمنعت من قبول الحق، بل واستغنت عنه وردته، وهذه أخلاق مانعة من العلم والهدى." فقال مبيناً لشرف الفقر وعلو مرتبته وفضل أهل الدين وإن هانوا، وخسة أهل الدنيا وإن زانوا، معظماً له"([2]) بهذه الآيات العظيمة التي تتلى إلى يوم القيامة. وتتجلى بعض مظاهر العناية الربانية بالأعمى " بأن الهداية بيد الله وحده، وأن أحداً لا يملك هداية أحد حتى ولوكان رسولاً، وبيان حقارة المعرضين عن الدين المستغنين عن رب العالمين، وأنه أتفه من أن يهتم بهم، وألا يضيع فيهم وقتاً، وان تعليم رجل أعمى فقير ضعيف من المسلمين أولى من صرف الوقت فيمن عرفوا بالعناد والاعراض"([3])

ومع ما ورد من هذا العتاب التربوي لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الا أنه لم يخفيه "وقال كثير من العلماء وابن زيد وعائشة وغيرها من الصحابة: لو كان رسول الله **صلى الله عليه وسلم** كاتماً شيئاً من الوحي، لكتم هذه الآيات، وآيات قصة زيد وزينب بنت جحش، «والتولي»: هنا الإعراض، و {أن}: مفعول من أجله، وقرأ الحسن {أن جاءه} بمدة تقرير وتوقيف والوقف مع هذه القراءة على {تولى} وهي قراءة عيسى. وذكر الله تعالى ابن مكتوم بصفة العمى ليظهر المعنى الذي شأن البشر احتقاره، وبين أمره بذكر ضده من غنى ذلك الكافر"([4]). وبيان حقارة أمر الكافر في قوله تعالى (وَما عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى)": تحقير لأمر الكافر وحض على الإعراض عنه وترك الاهتمام به، أي: وأي

---

[1]) السعدي: مرجع سابق(323/8)

[2] برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية –بيروت – 1415
هـ، (323/8). المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[3]) طه عابدين طه: مرجع سابق، ص 14.

[4]) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: المحرر الوجيز(494/6) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

شيء عليك في كونه لا يفلح ولا يتطهر من دنس الكفر؟ وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى: أي يمشي بسرعة في أمر دينه، وَهُوَ يَخْشى: أي يخاف اللّه، أو يخاف الكفار وأذاهم، أو يخاف العثار والسقوط لكونه أعمى، وقد جاء بلا قائد يقوده"([1])

خامساً: رفعة قدر المؤمن مقابل المشرك:

وقد أكد على هذه المنزلة العظيمة عدد من العلماء والمفسرين عندما تطرقوا لتفسير هذه الآيات، فقال أحدهم "فمناط المعاتبة هو العبوس للمؤمن بحضرة المشرك الذي يستصغر أمثال ابن أم مكتوم، فما وقع في خلال هذا العتاب من ذكر حال المؤمن والكافر إنما هو إدماج لأن في الحادثة فرصة من التنويه بسمو منزلة المؤمن لانطواء قلبه على أشعة تؤهله لأن يستنير بها ويفيضها على غيره جمعا بين المعاتبة والتعليم، على سنن هدي القرآن في المناسبات"([2]).

وقال السعدي" وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر."([3]). لذا فإن العتاب الرباني لم يكن الا توجيه وتسديد للنبي **صلى الله عليه وسلم** على هذا الاجتهاد، وفيه صنوف من أصناف التربية والتوجيه " وفي العتاب وأسلوبه ومفهومه وروحه تهذيب رباني عظيم المدى للنبي **صلّى اللّه عليه وسلّم** وفي إعلان النبي **صلّى اللّه عليه وسلّم** العتاب يتجلى الصدق النبوي العميق الذي يملك النفس والقلب ويملأهما بالإعظام والإجلال.

---

[1]) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دار الفكر . بيروت 1420 هـ، تحقيق صدقي محمد جميل(407/10) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[2]) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1420(100/30) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[3]) السعدي: مرجع سابق، (1/ 910) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

وفي الآيات تلقينات ومبادئ أخلاقية واجتماعية وسلوكية جليلة مستمرة المدى، ففيها إشادة بذوي النيات الحسنة من الناس الذين يسعون وراء الخير والمعرفة صادقي الرغبة في الاستفادة والاستنارة وصالح العمل، وإيجاب الاهتمام."([1]). وفيها أن الكافر المعرض عن الحق مقابل المؤمن الحريص على الهداية الساعي لطلب التزكية والتربية وتحصيل العلم من صاحب العلم، "أي لا يهتدي هذا الكافر ولا يؤمن، إنما أنت رسول، ما عليك إلا البلاغ. قوله تعالى: (وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى) يطلب العلم لله (وَهُوَ يَخْشى) أي يخاف الله. (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) أي تعرض عنه بوجهك وتشغل بغيره. وأصله تتلهى، يقال: لهيت عن الشيء ألهى: أي تشاغلت عنه. والتلهي: التغافل. ولهيت عنه وتليت"([2]). وقد وضح كمال عدل الله تعالى في نصره لأبن أم مكتوم وبيان عذره.

مما تقدم تتضح بعض أوجه مراعاة الأعمى في القرآن الكريم من خلال سورة عبس، وأنها عامة وليست خاصة فقط لأبن أم مكتوم بل يشاركه فيها كل من فقد بصره، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

الفصل الثالث: الفوائد التربوية من قصة الأعمى في سورة عبس:

أولا: التلطف في المعاملة:

جاء التلطف في هذه السورة العظيمة على حالتين، تلطف بالنبي **صلى الله عليه وسلم**، وتلطف بالصحابي الجليل ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وهنا نورد شيئاً مما ورد لكل منهما.

1) التلطف بالنبي محمداً صلى الله عليه وسلم.

أ-خاطب الله نبيه محمدا **صلى الله عليه وسلم** بلطف وعدم ذكر الفاعل في مطلع سورة (عبس وتولى)، جاء الخطاب على صيغة الغيبة تلطفاً في عتاب النبي **صلى الله عليه وسلم**. وجاء ذكر عبد

[1]) محمد عزت دروزة: التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1383 هـ(122/2) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[2]) القرطبي: مرجع سابق، (215/19) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

الله بن أم مكتوم بوصفه إشعاراً بعذره في عدم معرفته بانشغال الرسول **صلى الله عليه وسلم**، وترقيقاً لقلب النبي **صلى الله عليه وسلم** لأجل علته، وهي العمى، حيث يحتاج من الرعاية ما لا يحتاجها غيره، والله أعلم."([1])

ولأن النبي كان منشغلاً مع كبراء قريش لعلهم يسلمون ويسلم معهم من يتبعهم وهذا الفعل لم يقصد به النبي – **صلى الله عليه وسلم** – " أي انحياز طبقي بين الغني والفقير لكنه ظنّ أن الغني سيكون مؤثراً في الدعوة إن أسلم أكثر من الأعمى الفقير وأنه سيفيد الإسلام أكثر فجاء الرد من الله تعالى بأن الدعوة لا بد وأن تكون شاملة للغني والفقير على حد سواء وهذه دعوة عامة للناس جميعاً بعدم الاهتمام بالمظاهر المادية للناس فالله تعالى أعلم بالسرائر وأعلم من ينصر دينه ونزلت الآية تعاتب الرسول – **صلى الله عليه وسلم** – عتاباً رقيقاً حتى أن الله تعالى لم يوجه الخطاب مباشرة للرسول – **صلى الله عليه وسلم** – تلطفاً به وإنما جاء بصيغة المجهول (عبس وتولّى أن جاءه الأعمى) ثم بعدها جاء ضمير المخاطب (وما يدريك لعله يزّكى) وهذا من حب الله تعالى لرسوله – **صلى الله عليه وسلم** – ولطفه به لأنه يعلم أنه لم يعرض عن الأعمى تكبراً وإنما حرصه الشديد على إسلام كبراء قريش"([2])

ب–هذا العتاب المؤدب واللطيف فان فيه بيان" رفعة مقام النبي محمدا **صلى الله عليه وسلم** عند الله، حيث عاتبه الله تعالى بصيغة الغيبة (عبس) ولم يقل عبست وتوليت، تلطفاً معه في العتاب حتى يقع في نفسه متدرجاً ويكون أهون عليه "([3]). احتراماً لمشاعر الرسول **صلى الله عليه وسلم** ولعل من أهم أوجه الاهتمام التربوي لهذه المعاملة باللطف ما يلي:

---

[1]) مساعد الطيار: تفسير جزء عم، ص100 (المكتبة الشاملة الإصدار :3,53).

[2]) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم(23/1). (المكتبة الشاملة الإصدار: 3.53)

[3]) طه عابدين طه: الهدايات المقتبسة من عتاب سورة عبس، 1434هـ مخطوط، ص 6.

أ–التلطف بالمعاملة يرفع من قدر أفراد المجتمع ويحثهم على التكاتف. ويرفع الحرج في التعامل، ليصل بالمجتمع إلى حقائق دون الإحساس بالخطأ، طالما أن التوجيه في فعل الخيرات، وترك المنكرات "([1]).

ب–التلطف يشيع المحبة بين الناس، ويوجههم نحو مساعدة البعض، والإحساس بالضعيف ومساعدته.

ج–التلطف يسل سخيمة الصدر، ويشيع الأخوة الايمانية، ويؤكد جانب التراحم، وقد أكده النبي صلوات ربي وسلامه عليه في عدة أحاديث منها:

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.)."([2]) وحديث (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)"([3]). وحديث (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)."([4]) وحديث (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وشبّك بين أصابعه **صلى الله عليه وسلم** "([5]).

2–التلطف بالصحابي ابن أم مكتوم:

أ– وصفه الله تعالى بالأعمى وهذا الوصف به أوجه وتقدير منه جل وعلا لهذا الصحابي ومراعاة لحالته الحسية فقد أحد حواس تحصيل المعرفة وهي البصر، وأنه معذور وهو احق من هؤلاء الكفار بالرعاية والاهتمام وقد اكد على فائدة هذا الوصف بعض من المفسرين، "فِي التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِلَفْظِ "

---

[1]) نجلاء الجزار: مرجع سابق، ص21.

[2]) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: الجامع الصحيح، دار الشعب –القاهرة الطبعة: الأولى، 1407هـ، كتاب الوحي، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث رقم(4242) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[3]) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت، باب فضل الاجتماع على قراءة القرآن، حديث رقم(7028) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[4]) المرجع السابق: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، حديث رقم(6751)

[5]) البخاري: مرجع سابق، كتاب بدء الوحي، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيرهن حديث رقم(481).

الْأَعْمَى " ; لِلْإِشْعَارِ بِعُذْرِهِ فِي الْإِقْدَامِ عَلَى قَطْعِ كَلَامِ الرَّسُولِ – **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** – ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَرَى مَا هُوَ مُشْتَغِلٌ بِهِ مَعَ صَنَادِيدِ الْكُفَّارِ لَمَا قَطَعَ كَلَامَهُ"([1])

وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك لأنه وصف يناسب الإقبال عليه والتعطف. وفيه أيضا دفع إيهام الاختصاص بالأعمى المعين وإيماء إلى أن كل ضعيف يستحق الإقبال"([2]) وهذه لفتة تربوية عظيمة إسلامية صادرة من الخالق عز وجل إلى أن جميع ذوي الاحتياجات الخاصة ينطبق عليهم هذا الحكم ويحتاجون التلطف والعطف والرحمة ولم تقصر على الأعمى فقط.

ب–وكذلك اتضحت آثار التلطف التربوية العظيمة من النبي **صلى الله عليه وسلم**، أنه كلما رأى عبد الله بن أم مكتوم، إلا وهش له، ورحب قائلاً : أهلاً بمن عاتبي فيه ربي ([3]). قَالَ الثَّوْرِيُّ: فَكَانَ النَّبِيِّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا رَأَى ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ يبسط له رداءه ويقول: [مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي]. وَيَقُولُ: [هَلْ مِنْ حَاجَةٍ]؟ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ فِي غَزْوَتَيْنِ غَزَاهُمَا. قَالَ أَنَسٌ: فَرَأَيْتُهُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ رَاكِبًا وَعَلَيْهِ دِرْعٌ وَمَعَهُ رَايَةٌ سَوْدَاءُ."([4])

ج–قدم الله الأعمى في كتابه الكريم على أهل الأعذار تلطفا به وعناية به، فقال تعالى (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا) سورة الفتح آية :17.

د–من اهتمام القرآن الكريم بالمؤمن رفع قدره وإظهار عزته خاصة أمام الكفار والأعداء، خاصة الضعفاء أمثال ابن أم مكتوم رضي الله عنه، لأن عزة الأمم بقدر ما تراعي وتتلطف بضعفائها

---

[1]) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ،1415 هـ(430/8) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[2]) شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية . بيروت 1415 هـ(242/15) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[3] انظر، الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القران بالقرآن , 49/9.

[4]) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964 م(213/19)

المحتاجين للمساعدة (عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ رَأَى سَعْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ **صلى الله عليه وسلم** هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ.)"([1]) وجاء في شرح الحديث، (رأى) ظن. (فضلا) زيادة منزلة بسبب شجاعته وغناه ونحو ذلك (بضعفائكم) ببركتهم ودعائهم لصفاء ضمائرهم وقلة تعلقهم بزخرف الدنيا فيغلب عليهم الإخلاص في العبادة ويستجاب دعاؤهم.

وقال الخازن استخلفه النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته" ([2])

وأيضا فائدة الإرشاد والتعليم بالنسبة إلى هذا الأعمى أمر معلوم وبالنسبة إلى أولئك أمر موهوم لأنه جاء طالبا مسترشدا وأنهم جاءوا مستهزئين معاندين، وترك المعلوم للموهوم خارج عن طريق الاحتياط وإلى هذا المعنى أشار بقوله ([3])

"وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب.... فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: "لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة " وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه الحريص عليه أزيد من غيره."([4])

ثانياً: الرفق بالمتعلمين.

---

[1]) البخاري مرجع سابق كتاب الوحي، باب ركوب البحر، حديث رقم(2896) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

[2]) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ): فتحُ البيان في مقاصد القرآن، مرجع سابق (77/15)

[3]) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى -1416 هـ(63).

[4]) السعدي: مرجع سابق (910/1)

الرفق مطلب ضروري ومهم في جميع شئون الحياة، ويتأكد هنا في عملية التربية والتعليم، فقد قال النبي **صلى الله عليه وسلم** (يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِى عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِى عَلَى مَا سِوَاهُ)"([1]). والرفق هو اللين بالقول والعمل، والأخذ بالأسهل "([2]).

الآيات في سورة عبس قررت عتاب – الرسول **صلى الله عليه وسلم** – ليلفت نظره إلى إجابة نداء بن أم مكتوم – رضي الله عنه – حيت يقوم المعلم مقام الوالد، فيجب عليه أن يسمع سؤالهم، ويمدهم بما يستطيع من العلم، وينبغي للعالم أن يكرم أهل العلم من طلابه، وأن ينزلهم منزلة العزة والشرف، ويتفقد أحوالهم. وقد يدفع بعض الطلبة أحياناً إلى إضطجار المعلم مثل سؤال عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه – للرسول – صلي الله عليه وسلم – وهو مشغول بدعوة المشركين من قريش إلى الله ولم يجبه فعاتبه الله – عز وجل –، وهذا دليل واضح على أهمية الاهتمام بتلبية الأسئلة وتوجيه طلاب العلم."([3]) إن أسلوب العتاب الرقيق يهدف لإصلاح الخطأ دون جرح مشاعر المخطئ، وهو من قبيل التنبيه لتصحيح المسار، وفى ذكر الأعمى والعتاب في حقه بيان مدى رحمة الله عز وجل.

وتتجلى صورة الرفق هنا في هذه السورة العظيمة بقوله تعالى (أَن جَاءهُ الأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى) أتى رسول اللّه **صلّى اللّه عليه وسلم** وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال : يا رسول اللّه أقرئني وعلمني مما علمك اللّه تعالى

---

[1]) مسلم: الجامع الصحيح، مرجع سابق باب فضل الرفق، حديث رقم6766.

[2]) صالح بن سليمان البقعاوي: مبدأ الرفق في التعامل مع المعلمين من منظور التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي، الدمام 1421هـ ص291.

[3]) نجلاء الجزار: مرجع سابق ص22.

وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم ، فكره رسول اللّه **صلّى اللّه عليه وسلم** قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت. فكان رسول اللّه **صلّى اللّه عليه وسلم** يكرمه ويقول إذا رآه: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي» ويقول: «هل لك من حاجة». واستخلفه **صلّى اللّه عليه وسلم** على المدينة فكان يصلي بالناس ثلاث عشرة مرة كما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب"([1]).

وقد ذم الله تعالى العبوس في وجه المؤمن وطالب العلم والخير، لأنه يورث البغضاء والتنافر، بينما الترفق باستقباله يورث المودة والمحبة والود. وقال المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه "تبسمك في وجه أخيك صدقة"([2]) بل يعتبر "إقبال المعلم بوجهه وقلبه على الطالب وعدم التولي عنه مطلب شرعي في العملية التعليمية، وقد أدب الله الدعاة والمعلمين في شخص الرسول **صلى الله عليه وسلم** وماهداه إليه من خلق رفيع"([3]).

ثالثاً: المساواة:

لقد جاء الإسلام وساوى بين البشر، وجعل المعيار الحقيقي لتفاضلهم هو التقوى فقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) سورة الحجرات آية: (13) "أي إنما رتبكم على شعوب وقبائل ليعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزى إلى غير آبائه، لا أن تتفاخروا بالآباء والأجداد وتدعوا التفاضل في الأنساب. ثم بين الخصلة التي يفضل بها الإنسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله {إن أَكْرَمَكُمْ عَندَ الله أتقاكم} في الحديث: «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى. ورُوي أنه **صلى الله عليه وسلم** طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

---

[1]) شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية. بيروت 1415 هـ تحقيق: على عبد الباري عطية(241/15)

[2]) الترمذي: مرجع سابق حديث رقم1956.

[3]) طه عابدين طه: مرجع سابق، ص 7.

«الحمد لله الذي أذهب عنكم عِبُية الجاهلية وتكبرها. يا أيها الناس إنما الناس رجلان: مؤمن تقي كريم على الله وفاجر وشقي هين على الله» ثم قرأ الآية "([1]).

وتتجلى المساواة في مجلس النبي **صلى الله عليه وسلم**، في المساواة بين السوي والمعاق، وان كل منهما يجب ان يجد الاحترام والتقدير من الآخر، وكذلك تكون المساواة في ابلاغ العلم لشريفهم ووضيعهم، ولصغيرهم وكبيرهم على حد سواء.

وهذا يدل على رحابة مجلس النبي **صلى الله عليه وسلم** اذ يكون فيه ا الزعماء والضعفاء، والأغنياء والفقراء، والكافر الذي يدعى، والمؤمن الذي جاء ليتعلم." ومن هاهنا أمر الله عز وجل رسوله **صلى الله عليه وسلم** ألا يخص بالإنذار أحدًا، بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف، والفقير والغني، والسادة والعبيد، والرجال والنساء، والصغار والكبار. ثم الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة."([2]).

رابعاً: فضل العلم وطلبه.

فقد جاء في قوله تعالى (وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى) فقد قال بعض المفسرين انه (يطلب العلم لله) كما ذكره القرطبي في تفسير هذه الآية. "وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى مُسْرِعاً فِي طَلَبِ العِلْمِ والهُدَى وَالتَّقْرُّبِ مِنْ رَبِّهِ. جَاءَكَ يَسْعَى –وَصَلَ إِلَيْكَ مُسْرِعاً "([3]).

وقد بين ذلك السعدي في التفسير فقال" وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما

---

[1]) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (347/3) المكتبة الشاملة الإصدار 3,53.

[2]) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق(319/8).

[3]) أسعد حومد: أيسر التفاسير(5643) المكتبة الشاملة الإصدار 3,53.

) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق(319/8).

تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك ألا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: " لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة " وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره."([1]). وهنا نجد ان الحق تبارك وتعالى عظم من شأن المتعلم وأن اقبال المعلم على المتعلم بوجهه وقلبه، وعدم التولي عنه مطلب شرعي في العملية التعليمية وقد أدب الله الدعاة والمعلمين في شخص النبي **صلى الله عليه وسلم** في هذا الموضع، وأصبحت هذه السورة تتلى الى يوم القيامة.

وأن عمى البصر "لا يمنع الانسان من طلب العلم والسعي الى الخير، بل هناك الكثير من العلماء ملأوا الأرض علماً ولم يكونوا مبصرين، .... وفيها بيان عظم المجيء في الله لطلب العلم الذي به تزكو النفوس، وتطهر القلوب، فهو مجيء يحمل معاني العبودية، وينفع الزائر والمزور، ولهذا نص الله عليه وكرره"([2]). وفيه إشارة الى أن العلم يؤتى اليه، وفيها الثناء على من يقبل على تعلم القرآن، وأنه يرث الخشية ويطهر النفس.

خامساً: الدعوة الى حسن الخلق.

في هذه السورة تتجلى وتتضح صور الدعوة الى حسن الخلق عندما يخاطب الله عزو جل نبيه محمداً **صلى الله عليه وسلم** بقوله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَن جَاءهُ الأَعْمَى (2) ففي هذه الآيات عتاب لطيف من الله لنبيه محمدا **صلى الله عليه وسلم** " ولما كان صدور ذلك من الله لنبيه **صلى الله عليه وسلم** لم يشأ الله أن يفاتحه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام، فوجهه إليه على أسلوب الغيبة ليكون أول ما يقرع سمعه باعثا على أن يترقب المعني من ضمير الغائب فلا يفاجئه العتاب وهذا تلطف من الله برسوله **صلى الله**

[1]) السعدي مرجع سابق، (910/1) المكتبة الشاملة، الإصدار 3,53.

[2]) طه عابدين طه: مرجع سابق، ص 7.

عليه وسلم ليقع العتاب في نفسه مدرجا وذلك أهون وقعا، "([1]).وقد تمثل المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه حسن الخلق ،بصدقه ،وأمانته في تبليغ الدعوة، وكذلك انه لم يكتم حتى هذا العتاب من الله وهو اسمى حسن الخلق، ولذ ا فإن مجرد العبوس والاعراض ينافي حسن الخلق فنهاه الله عنه.

"وبعد هذا العتاب الإلهي المسوق في صيغة الغائب: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، تخفيفا من وقعه على رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، يتجه الخطاب الإلهي إلى الرسول عليه السلام وجها لوجه، قائلا له: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى}، وفي هذا النص بيان لأولوية ابن أم مكتوم ومن كان في معناه من المؤمنين، الراغبين في المزيد من العلم والمعرفة بالدين"([2])

وهنا أيضاً يتضح ويتجلى حسن الخلق من النبي **صلى الله عليه وسلم** في حرصه هداية الخلق، وادخالهم في الإسلام حتى لو كانوا كفار ومعرضين.

سادساً: أهمية التزكية.

تأتي التزكية في القرآن الكريم بعدة معان، ولعل معناها هنا هو ما يدل على حرص ابن أم مكتوم بتزكية نفسه وتطهيرها بما يتعلمه من التوجيه والتربية النبوية الشريفة، " يَزَّكَّى} أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة"([3]). ومن هنا نجد أن التزكية أحد معاني التربية والتعليم في الفكر التربوي الإسلامي " ومدلول التزكية هنا لا يقتصر على فترة عمرية محددة، ولا على جانب واحد فقط، وإنما ينصرف عموماً إلى البناء الخلقي والنفسي للفرد، فالتزكية عموماً ترتبط بتطهير النفس، وهذا المعنى للتزكية مترادف مع التربية"([4])

---

[1]) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي : الناشر : مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة : الأولى، 1420هـ/2000م (92/30) المكتبة الشاملة، الإصدار 3,53.

[2]) محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1405 هـ(381/6) المكتبة الشاملة، الإصدار 3,53.

[3]) السعدي: مرجع سابق 585.

[4]) محمد شحات الخطيب وآخرون: أصول التربية الإسلامية دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض1421هـ، ص 22.

ولقد بينت هذه الآية المقصد الأول من العلم والتعلم، وهو تحقيق تزكية النفوس وطهارتها، وهذا نظير قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) (سورة الجمعة اية :2).

ولابد ان يكون نشر التعليم والدعوة بين أفراد الأمة وجعله متاحاً لكل أحد لتتحقق تزكية المجتمع وصلاحه، حتى لذوي الاحتياجات الخاصة.

سابعاً: الأمر بتحمل الآخرين والصبر عليهم.

إن من مهام الأنبياء والرسل والمصلحين استيعاب جميع أصناف المجتمع واحتوائهم والصبر عليم وتقديم النصح والمشورة وتقبل آرائهم ومناقشتهم والاجابة على استفساراتهم، دون تفريق بينهم، وهذا ما أكدت عليه هذه السورة العظيمة التي نزلت معاتبةً قائد الأمة وبسبب رجل أعمى "وفيها الحث للمعلمين والقادة على الصبر والحلم وتحمل الآخرين بأوسع قدر من حسن الخلق، ولو وقعت الأمور خلاف ما يريده الانسان"([1]). "وإذا كان للصبر هذه المنزلة، فأولى أوصاف النبيين الصبر ، الصبر في سبيل الدعوة والاستمرار في التبليغ ، والصبر على الأذى والتحديات الآفة ،والمطالب الجائرة والحائرة ،وكل هذا لأجل تبليغ رسالة الله وهداية البشر، وهنا يجب على المربين والدعاة التنبه لهذا والاقتداء بسير وهدي الأنبياء مع أقوامهم لكي يتم القبول .

ثامناً: تنمية الحوار التربوي:

[1]) طه عابدين طه: مرجع سابق ص23.

فقد قال تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّى) سورة عبس اية:1) " قال الصاوي: إنما أتى بضمائر الغيبة [عبس وتولى] تلطفا به **صلى الله عليه وسلم** وإجلالا له، لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة الصعوبة"([1])

وبعد هذا العتاب الإلهي المسوق في صيغة الغائب: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، تخفيفا من وقعه على رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وفي العتاب وأسلوبه ومفهومه وروحه تهذيب رباني عظيم المدى للنبي **صلّى اللّه عليه وسلّم** وفي إعلان النبي **صلّى اللّه عليه وسلّم** العتاب يتجلى الصدق النبوي العميق.

من هنا يتضح أن الحوار والعتاب بأسلوب الإخبار عن الغائب فيه تعظيم وتكريم، والحوار بأسلوب هادئ وهادف لمعالجة بعض القضايا التربوية، وفيه كذلك أهمية التلميح لا التصريح

تاسعاً: تبليغ أمانة العلم.

حرص المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه بأن يبلغ العلم كل الناس كافرهم ومسلمهم وهو يتمثل قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) سورة الأنبياء آية:107. " فهو رحمته المهداة لعباده، فالمؤمنون به، قبلوا هذه الرحمة، وشكروها، وقاموا بها، وغيرهم كفرها، وبدلوا نعمة الله كفرا، وأبوا رحمة الله ونعمته."([2]).

فقد شمل حرصه بتبليغ العلم-**صلى الله عليه وسلم**-وحرصه على هداية الخلق حتى الكفار المعرضين وادخالهم تحت مظلة الايمان لينجوا من النار مع اعراضهم عنه، وانه بشر يخطئ ويصيب ، ويجتهد في بعض الأمور مثل اعراضه عن ابن أن مكتوم ولم يكن من باب تقليل قدره رضي الله عنه ، ولكنه اجتهاداً منه لأنه ضمن اسلام وايمان ابن أم مكتوم ولعله يدخل هؤلاء السادة في الإسلام ، ولكن الله سبحانه وتعالى له إرادة وعلم فيهم "وأنه جرى على قاعدة إعمال أرجح المصلحتين بحسب الظاهر، لأن السرائر موكوله إلى الله تعالى، وأن اجتهاده **صلى الله عليه وسلم** لا يخطئ بحسب ما نصبه الله من الأدلة، ولكنه

[1]) الجزائري: أيسر التفاسير، مرجع سابق (485/3)

[2]) السعدي: مرجع سابق. (532/1) المكتبة الشاملة، الإصدار 3,53.

قد يخالف ما في علم الله، وأن الله لا يقر رسوله **صلى الله عليه وسلم** على ما فيه مخالفة لما أراده الله في نفس الأمر. ونظير هذه القضية قضية أسرى بدر التي حدثت بعد سنين من نزول هذه الآية والموقف فيهما متماثل. وفي قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس:3] إيماء إلى عذر النبي **صلى الله عليه وسلم** في تأخيره إرشاد ابن أم مكتوم لما علمت من أنه يستعمل في التنبيه على أمر مغفول عنه، والمعنى: لعله يزكى تزكية عظيمة كانت نفسه متهيئة لها ساعتئذ إذ جاء مسترشدا حريصا، وهذه حالة خفية. وكذلك عذره في الحرص على إرشاد المشرك بقوله: {وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى} [عبس:7] إذ كان النبي **صلى الله عليه وسلم** يخشى تبعة من فوات إيمان المشرك بسبب قطع المحاورة معه والإقبال على استجابة المؤمن المسترشد."([1]).

إن مما يؤكد على المربين والقادة وعلماء الأمة الإسلامية هو أهمية رفع القرآن الكريم في النفوس ورفع مكانته في الحياة، ورفعه على كل كتاب ورفعه عن كل ما يدنسه، حتى يكون في منزلة من الكرامة بالصورة التي لا يدانيها كتاب في الأرض، فإن الأمة لا تكون بخير ما لم يرفعوا كتاب الله رفعة كاملة حسياً ومعنوياً. والله سبحانه تعالى أعلم وأحكم وبالله التوفيق.

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد

ففي خاتمة بحثي هذا أذكر ملخصاً لما تضمنه مع ذكر التوصيات وبشكل مختصر.

1- إن عتاب الله جل وعلا لنبينا محمداً **صلى الله عليه وسلم** إنما هو درس وتوجيه وتعليم لهذه الأمة صغاراً وكباراً ولاسيما المشتغلين في مجال الدعوة والتربية والتعليم.

2- أن من مقاصد القرآن الكريم المحافظة على كرامة الفرد وعزته وشموخه، وحفظ حقوقه على أعلى مستوى، وينبغي لأمة الإسلام أن تراعي حقوق كل فرد فيها دون تفريق وتمييز.

---

[1]) محمد بن عاشور: التحرير والتنوير، مرجع سابق (98/30) المكتبة الشاملة: الإصدار 3,53.

3- بيان أن هذا القرآن الكريم منزل من عند الله جل وعلا، وبيان صدق النبي محمدا **صلى الله عليه وسلم** في كل ما يبلغه عن ربه، وعدم كتمانه لشيء من الوحي ولو كان عتابا له .

4- حقارة المعرضين عن الدين، المستغنين عن رب العالمين، وأن المؤمن أحق بالرعاية والعناية والتقدير من أي كافر، وأن الهداية بيد الله جل وعلا وأن أحداً لا يملك هداية أحد حتى ولو كان رسولاً.

5- أهمية ابن أم مكتوم وفضله عند الله حيث جعل قصته قرآنا يتلى الى يوم القيامة.

6- الصدود عن الحق والكبر والغرور والاستعلاء عادة يكون في أهل الغناء والثراء والرفعة الاجتماعية، والتواضع وقبول الحق عادة يكون في أهل الفاقة والفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة.

7- شفقة النبي ورحمته وعطفه ومحبته لجميع البشر وحرصه على هدايتهم وانقاذهم من النار {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} سورة الشعراء آية:(3)

8- أهمية الإخلاص في طلب العلم، ومن كان كذلك ناله وعمل به وتأثر ورفعه الله {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} سورة الحجرات آية:(11).

9- الاستفادة من الهدايات التربوية المبثوثة في القصص القرآني في التعامل مع المتعلمين، وطلاب العلم، وإبرازها للعالم وترجمتها بلغاتهم ليستفيدوا منها.

10- تعميم تلك التوجيهات الربانية والمبادئ التربوية الموجودة في كتاب الله سبحانه وتعالى لجميع المؤسسات التربوية والتعليمية.

11- التخلق بخلق المصطفى صوات ربي وسلامه عليه في التعامل مع البشر عموما وحرصه على هدايتهم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع:

1.) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (347/3) المكتبة الشاملة الإصدار 3,53.
2.) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ): فتحُ البيان في مقاصد القرآن، مرجع سابق (77/15)
3.) ابو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، مرجع سابق (517/5)
4.) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، 1384هـ -1964 م.
5.) أحمد حافظ نجم، وآخرون دليل الباحث، الرياض: دار المريخ، 1408هـ، ص15
6.) أسعد حومد: أيسر التفاسير(5643) المكتبة الشاملة الإصدار 3,53.
7.) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية 1420 (319/3).
8.) البخاري مرجع سابق كتاب الوحي، باب ركوب البحر، حديث رقم(2896) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.
9.) الجزائري: أيسر التفاسير،
10.) برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: ظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية -بيروت -1415 هـ، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.
11.) شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية . بيروت 1415 هـ، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

12.) شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الكتب العلمية . بيروت1415 هـ تحقيق: على عبد الباري عطية.

13.) صالح بن سليمان البقعاوي: مبدأ الرفق في التعامل مع المعلمين من منظور التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي، الدمام 1421هـ.

14.) طه عابدين طه: الهدايات المقتبسة من عتاب سورة عبس، 1434هـ مخطوط،

15.) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي: المحرر الوجيز(494/6) المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

16.) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ

17.) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار هجر –

18.) على الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، 1415هـ.

19.) فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، (المكتبة الشاملة الإصدار: 3.53)

20.) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية -بيروت -1421هـ

21.) مجموعة من المؤلفين: الموسوعة العربية، سوريا، دمشق.

22.) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ،1415 هـ، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

23.) محمد الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون بيروت،1415هـ، المكتبة الشاملة الإصدار 3,52.

24.) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1420، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

25.) محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1405 هـ، المكتبة الشاملة، الإصدار 3,53.

26.) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: الجامع الصحيح، دار الشعب – القاهرة الطبعة: الأولى، 1407هـ، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

27.) محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار احياء التراث العربي، بيروت، تحقيق أحمد شاكر وآخرون

28.) محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، دار الفكر . بيروت 1420 هـ، تحقيق صدقي محمد جميل، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

29.) محمد جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل، المكتبة الشاملة الإصدار 3,53.

30.) محمد شحات الخطيب وآخرون: أصول التربية الإسلامية دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض1421هـ.

31.) محمد عزت دروزة: التفسير الحديث، دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1383 هـ، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

32.) مساعد الطيار: تفسير جزء عم، (المكتبة الشاملة الإصدار :3,53).

33.) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري: الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت، المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.

34.) نجلاء فتحي لطفي الجزار 2010م رسالة ماجستير غير مطبوعة بعنوان " القيم التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها في المجتمع " جامعة القدس المفتوحة.

35.) نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى -1416 هـ.

36. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية -بيروت -1415هـ الطبعة: الأولى المكتبة الشاملة الإصدار 3.53.